

لكي يكون هذا التغيير ممكنا نحتاج إلى الحب

دوريان أستور: علاقة نيتشه بالبودية أكثر أهمية من علاقته بالإسلام

واكب المفكر الفرنسي دوريان أستور أعمال فريدريك نيتشه على مراحل وخطوات، مرت بالافتتان إلى النقد والتفكيك، ومع أن غالبية أعماله تتمحور حول نيتشه، فإن أستور يعتقد أن الفيلسوف الألماني ليس سوى عدوه المفضل. وإضافة إلى قراءته العميقة لنيتشه، فقد أصدر الفيلسوف أخيراً كتاباً مثيراً للجدل بعنوان "الشغف باللايقين"، جدد من خلاله الشك في الكثير من الثوابت الفكرية والنفسية والرواوية وغيرها من المقاربات. التقت مجلة "الجديد" بالمفكر الفرنسي في هذا الحوار.

لكن، شيئاً فشيئاً، أخذ المشروع وجهاً قاتماً، وأصبح أكثر جدية. كان علي أن أسلم بالامر: اللايقين معاناة، وكل الأحياء يحاولون التغلب عليها، ولا يجب رمي مثل هذه النزعات عرض الحائط إنها فعلاً المقاربة النفسية المتصلة بنوازع اليقين واللايقين التي أثرت في شكل نصي وأسلوبه. إنه مستوحى جزئياً من شكل كتابة الشذرة لكبار كتاب تيار "الأخلاقين" الفرنسيين الذي أزهق في القرن السابع عشر، ولنيتشه نفسه.

الشك الخلاق

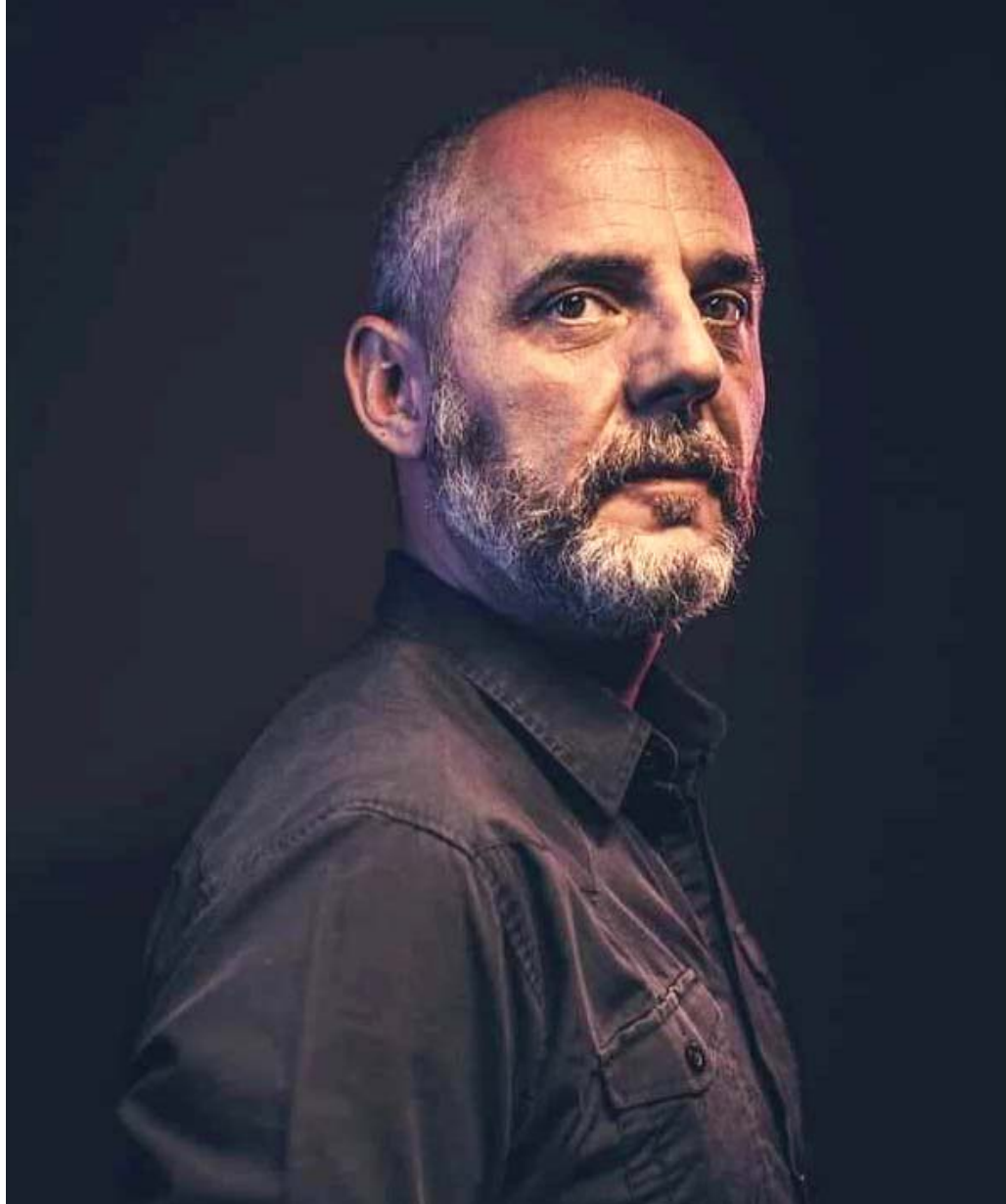
■ **الجديد:** يتصدر كتاب "الشغف باللايقين" هذا الإهداء: "إلى أ.، يقينياً". كذلك الشذرة السابعة والستون تحمل عنوان "من أجل أ. هل يمكنك إخبارنا المزيد من هذه الشخصية الملهمة والغامضة على حد سواء؟"

■ **دوريان أستور:** ليس لدي ما أقوله عن "أ" أكثر مما يلي: لقد أصبحت هذا نوعاً من الشخصية المفهومية، تجسد اختبار الآخر، وهي بذلك شهادة على ما يضيف إلينا يقين الآخر وشكوكه، اللذان يهزان اليقين الخاص بنا ويمكاننا من مراجعة ذواتنا. لكي يكون هذا التغيير ممكناً، نحتاج إلى الحب، لكن الحب لا يتغلب على وجهات النظر المتضاربة. هذا الكتاب هو أيضاً أثر لفنسي وإخطائي التي تفرض اتجاهات جديدة للفكر. على أي حال، تعلمت من "أ" أن اليقين والشكوك يمكن أن يكونا معاناة كبيرة، وأن القلق الوجودي له علاقة بعدم اليقين في الماضي أكثر مما يمكن أن يكون في المستقبل، كما أن هذا الأخير هو نتيجة الأول.

بشكل عام، أردت استكشاف هذه المفارقة الواضحة القائلة إن الحب وحده هو القادر على التعبير عن عدم اليقين بالنقطة والرضوخ، هذه هي الطبيعة السامية للأيام، دينياً أم لا. وبالمثل، يمكن ربط هذا اليقين بالكراهية، ما ينتج عنه عدم الثقة والنفي، وهذا هو خطر التعصب، دينياً أم لا. أطروحتي هي أن أفضل شكلاً من الشك يتعلق بما يسميه نيتشه، بعد الرواقيين، "amor fati"، حب القدر. هذا هو السبب في أن زرادشت، الذي يقول نيتشه إنه متشكك كبير، يعلم حبا جديداً واحتراراً جديداً، نعم ولا من طبيعة جديدة.

■ **الجديد:** تعيش فترة "خطرة"، حيث الجهول واللايقين يتماهيان. هل يمكن للفلسفة أن تترنبا نهاية النفاق وأن تمكننا من إخراج رؤوسنا من الماء؟ بطريقة أخرى، هل يمكننا كتابة "الشعر" والتساؤل، على طريقة الفيلسوف أدورنو، أكان "بربريا" فعل ذلك في زمن فيروس كورونا، علماً وأنت كتبت مقدمة "الشغف باللايقين" خلال شهر يونيو 2020؟

■ **دوريان أستور:** ليس من البربري كتابة الفلسفة في زمن الكوفيد. يمكن للمرء أن يخشى أن تكون الفترة بطريقة ما بربرية؛ وإذا كان الأمر على هذا النحو، فذلك على وجه التحديد لأن الدغمائية والتعصب والتحيز والإكاذيب والإفتقار المفترض للحلول، كل هذا يصل إلى مستويات مقلقة للعبث والعنف بشكل خاص. اصطلاحاً، لطالما كان المستقبل غير أكيد، لكننا مهددون بدرجة أقل من اللايقين بقدر ما يهددنا، من ناحية، الإفراط في اليقينية السخيفة وفي الصراع مع بعضنا البعض، ومن ناحية أخرى، من خلال الإنكار الراديكالي لعدد معين من الحقائق الواضحة للغاية التي نذهلنا إلى درجة أنها تتلنا. تبدو لي الكارثة البيئية، الرعب الاقتصادي والتراجع السياسي تعبيراً عن هذا اليقين، لكنها لا تؤثر تقريباً على قدرتنا على التفاعل أو الرد.



ليس للفنان والفيلسوف اليوم أي تأثير على الحضارة

الاحيان يتحول اللايقين إلى يقين جذري، ذي عنف لا مثيل له، ساعياً إلى تدمير كل الفرضيات، وكل الغموض، وكل اللايقين. إنها عبارة عن خط للإلغاء أطلق عليها دولوز وغوتاري اسم "الفاشية الصغيرة"، أي الفاشية على مستوى الدوافع. المقطع الذي قدمته بناظر بين الأشكال التي يمكن أن تتخذها هذه الفاشية الصغيرة في الإمبريالية الغربية والتطرف الإسلامي، اللذين يتجاوبان بطريقة ما ويغذيان بعضهما البعض. فمن ناحية، اليقين من الإفلات من العقاب الذي يسمح به موت الله؛ من ناحية أخرى، اليقين الذي أذن به الخالق العظيم. من الواضح أنه "قلق في الثقافة" وأكثر من ذلك بكثير: فهكذا تعود إلى أمراض صخرنا المقلقة جداً.

الفاشية الصغيرة

■ **الجديد:** يحمل النص الخامس والأربعون عنوان "اليقين والإفلات من العقاب: عن صورة لأبي غريب"، وهو يؤثر إيجاباً بجراته وبالحكم الذي تسلطونه على المذنبين، مع العلم أنك تتكلم بطريقة إنسانية وتحاول أن تفهم قبل أن تحكم "لهذا السبب أعادت فضيحة أبوغريب، بالكشف عن الأسماء والشهود، إشعال لعبة النظام الدولي الوحشية دون توقيضها. بعد تقديم أسماء غير دقيقة، كشفت الصحافة في 22 من مايو 2004 عن الاسم الحقيقي للمعتقل الذي عذب في الصورة: عبده حسين سعد فالج، الذي اختفى بعد الإفراج عنه. يقال إن عدداً كبيراً من أسرى الحرب العراقيين انضموا إلى صفوف الجهاد. ربما فعل عبده حسين سعد فالج الشيء نفسه، ربما أصبح جلالاً. لفهم ذلك، ليس عليك أن تكون مسيحياً. يجب أن تكون قادرين على قياس الربح الناتج عن الهجر الجذري دون أن تضيف إليه على الإفلاق معنى الاقتداء الأبوي. في زاوية النظر التي يحددها أي نظام قاس لصالح أبنائه، يظهر معنى التعذيب: اللعب تحت أنظار الأب الذي يصرح بها هذا الأمر، يظهر المعنى الوحشي للاستشهاد: المعاناة في هجر جذري، دون اعتبار ودون أب. العنف الديني هو عنف أبناء إله يرى كل شيء. إن العنف الفاشي هو عنف أبناء إله يدير النظر. إن أبناء العنف المعاصر هم لقطاء هذه اللعبة الروبوتية لأبائهم.

■ **الجديد:** على ماذا تشتغل الآن؟ وبصورة عامة، كيف تشتغل؟ أنت المولع بالموسيقى، هل تلعب هذه دوراً ما في كتابتك وفي فعل الترجمة؟

■ **دوريان أستور:** أنا بصدد إكمال عمل مقارن واسع حول فكرة المنظورات بأشكالها المختلفة، عند لابيين، ونيتشه، ووايتهيد، ودولوز، أحاول أن أضيف إلى هذه الفكرة بعض جوانب الأنثروبولوجيا المعاصرة التي لها صلات عميقة مع المنظورية. يبدو أن هذا العمل سيكون أطروحتي من أجل الحصول على الدكتوراه في الفلسفة (خير أن يأتي هذا الشيء متأخراً من أن لا يأتي أبداً، فانا قادم من الدراسات الألمانية) قبل أن يصبح، كما أمل، عملاً منشوراً.

■ بالنسبة إلى الموسيقى، منذ أن توقفت عن الغناء عام 2005، لم أنقطع عن ممارسة الأنشطة الموسيقية. شاركت في إدارة مهرجان أكاديمية "النشيد والنغم"، وعملت ككاتب مسرحي وكاتب موسيقى لشركات دور أوبرا. منذ أيلول/سبتمبر الماضي، انضمت إلى مسرح الكابيتول في تولوز، بصفتي كاتبة مسرحية ومحرراً ومحاضراً. هذا أكثر من مجرد ترفيه بالنسبة إلي، فانا بحاجة إلى الحفاظ على العمل، علمتي الموسيقى الانضباط والصبر وأن ممارسة الفكر تتضمن دائماً علاقة معينة بالجدس.

■ **دوريان أستور:** المقطع الذي استشهدت به صعب وحساس. ونحن وقت أحاول خلاله تحليل الآثار المدمرة للوجوه المستتدة لأرب على تطورات شهاداتهم (القوة والانسجام، الضمان والثقة) التي يجب أن تشكل تطور أي فرد. عندما يجسد الأب أو السيد أو الإله قانوناً تعسفياً وظالماً تماماً، فإن اللايقين لدى الأبناء ينتشر إلى مستويات رهيبية من المعاناة. لكن في بعض

■ **الجديد:** في "معجم نيتشه"، كتب فابريس دي سالياس "من الواضح أن نيتشه لا يمتلك عن الإسلام إلا معرفة ثانوية". ما رأيك في ذلك؟ هل يتضارب ذلك مع ما كتبه الفيلسوف الإيطالي كلاوديو موتي في "نيتشه والإسلام؟" (منشورات هيرود، 1994).

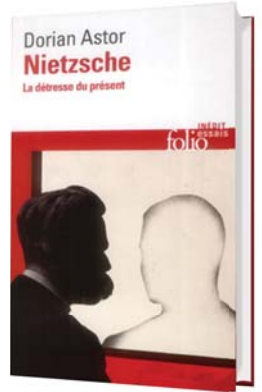
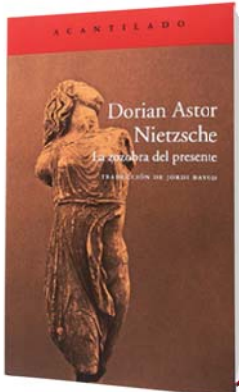
■ **دوريان أستور:** "نيتشه والإسلام" كتاب جميل للغاية، ولكن يجب أن نقول عدة أشياء، فهو من ناحية، عمل شخص اعتنق الإسلام؛ ومن ناحية أخرى، خلال بحثه، يدمج موتي الإسلام تقريباً مع الصوفية وحدها، ما يسمح بطبيعة الحال بتقريب أسهل للمسافة مع نيتشه، وهو في اعتقادي ما سمح ببعض الصلات الروحية بين الصوفية والبودية، وقد كانا منذ فترة طويلة على اتصال.

■ **ليس من البربري كتابة الفلسفة في زمن الكوفيد لكن يمكن أن نخشى أن تكون الفترة بطريقة ما بربرية**

ومع ذلك، فإن علاقة نيتشه بالبودية أكثر أهمية بكثير. إذا كان فابريس دي سالياس يرى أن معرفة نيتشه بالإسلام ضعيفة، فهذا أساسه اطلاع على مكتبته وقراءاته، ولكن أيضاً بسبب التواتر النادر والمتواضع لهذا الموضوع في كتاباته. بالطبع، تم ذكر الرسول محمد بين المشركين الكبار في الأخلاق، إلى جانب أفلاطون وموسى والمسيح. نيتشه مفتون بمؤسسي الأديان لأنهم، بالإضافة إلى إرادتهم غير العادية للوق، يكشفون عن العمليات التاريخية وانساب الخلق والإطاحة بالقيم التي هي في صميم التحليل النيتشوي.

لكن عندما يتعلق الأمر برسم الصورة النفسية للمسلم، لا يسعه إلا أن يتحدث رجولته وشجاعته وغبيرة الهيمنة عنده. هذا يسمح له، من خلال القيام بذلك، بإطلاق النار على المسيحية "المختنة"، "أخلاق العبيد" تلك، بعد قولتي هذا، من لم أكن أرغب في التعامل مع اليقين واللايقين من وجهة نظر معرفية، فالفلسفة التحليلية والعلوم المعرفية وحتى "علوم الإدارة" قد أغلقت موضوع ما يسمونه "اتخاذ القرار في حالة عدم اليقين" بشكل عام على نموذج احتمالي يخون التخيل التخيري للنزب الكامل الذي انتقده كثيرًا الفيلسوف برنارد ستيجلر. بالنسبة إلي، فإن اليقين واللايقين هما - مرتبطة بالخوف والقلق والحاجة إلى الضمان والأمن والسيطرة، وهي متصلة ليس فقط في البشر، ولكن في جميع الأحياء. باختصار، إرادة اليقين هي إرادة القوة. نيتشه، كما قلت، ميز شك "الضعف" وشك "القوة" (هذه مفرداته). يجب أن نتساءل عما هو شغف باللايقين والذي يعبر عن إرادة القوة الجديدة.

لكن ليست لدي أي نية للكتابة حول هذا الموضوع أو المغامرة في مجال فلسفة الموسيقى في هذا الوقت. ومع ذلك، هناك حلم واحد قد لا أحققه أبداً: أن أكتب كتاباً عن روسيني. من زاوية معينة في العمل، علمتي الموسيقى الانضباط والصبر وأن ممارسة الفكر تتضمن دائماً علاقة معينة بالجدس.

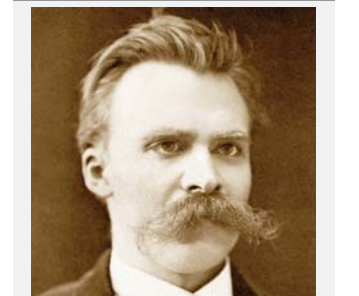


تنشر كاملة على الموقع الإلكتروني بالاتفاق مع مجلة الجديد الثقافية اللبنانية



ولد دوريان أستور سنة 1973 في مدينة بيزيي جنوب غربي فرنسا، وهو فيلسوف مختص في اللغة والأدب والحضارة الألمانية. تلميذ سابق بدار المعلمين العليا بباريس (حيث درس من قبله برغسون وسارتر ومارلو بونتي وميشيل فوكو)، التي تحصل فيها على شهادة التبريز في الألمانية، ثم التحق بمعهد الموسيقى بأمستردام أين تتلمذ في الغناء على يد أودو راينمان.

صدرت لدوريان أستور سيرة الفيلسوف الألماني الكبير "نيتشه" سنة 2011 عن دار غاليلمار، ونشر سنة 2014 مصنفاً تحت عنوان "نيتشه... ضيق الحاضر"، ثم أشرف على نشر "معجم نيتشه" سنة 2017 عند دار رويار لأدون. وشارك الفيلسوف والمترجم مارك دي لواناي نشر الجزء الثاني من أعمال نيتشه في السلسلة الشهيرة "لا بلاياد"، وصدر الكتاب سنة 2019.



الفيلسوف حسب نيتشه
ليس فقط فناناً خالفاً للقيم وطرق التفكير الجديدة والشعور والعيش، ولكنه أيضاً طبيب الثقافة

ترجم دوريان أستور سيغموند فرويد إلى الفرنسية ("قلق في الثقافة"، 2010؛ "مستقبل وهم"، 2011؛ "الطوطم والحرام"، 2013، "موسى الإنسان والدين النوحدي" 2019)، كما كتب سيرة الأدبية الألمانية لو أندرياس سالومي (صدرت عن دار غاليلمار 2008). وله أيضاً مجموعة من الكتب الشخصية مثل "كن نفسك من أجل حياة فلسفية" (منشورات أوترومون، 2016) و"صدرت في يوم 30 سبتمبر الماضي عن دار "لويسرفوار" بباريس كتاب جديد تحت عنوان "الشغف باللايقين".

■ **الجديد:** يحتوي كتابك الجديد، "الشغف باللايقين"، على ثمانية وستين نصاً تقارب في الطول وكلها مشبعة بعناوين خاصة. هل يمكنك قصّ نشأتها علينا وشرح الأسلوب والمنهجية المعتمدين والتعريف بضرورة عمل كهذا؟

■ **دوريان أستور:** صغت عبارة "الشغف باللايقين" في كتابي عن نيتشه "ضيق الحاضر" الصادر سنة 2014، عن الشكل الفريد جدا للشك الذي دافع عنه نيتشه ملقياً إياه "شغف جديد" للحقيقة التي تمر عبر إقرار الطابع غير المؤكد، المتبسط، والمتناقض لكل الأشياء. ولقد أعدت استعمال هذه العبارة في مقال صدر في الكتاب الجماعي "ماذا نحن نيتشويون؟" الصادر سنة 2016، حيث حاولت إظهار أن منظوريته نيتشه لا تمت للنسبية بأي رصلة، بل على العكس هي "في خدمة الحقيقة الصعبة".

في البداية، كنت أريد إكمال أشغالي حول هذا الموضوع بدراسة عن الشك، يعمل كان سيكتون ذلك تقييماً للشك السعيد على طريقة الفيلسوف مونتاني.